Psychological Defeat in The Marginalized Poetry: Saheem Abd Bani Al-Has'haas, As a Choice

Noor Sami Obaid
College of Basic Education, Wasit University, Wasit, Iraq
noor.Sami@uowasit.edu.iq

KEYWORDS: **Psychological defeat, Saheem Abd Bani Al-Hashaas, Al-Muhammash poetry.**

https://doi.org/10.51345/.v36i3.1206.g559

ABSTRACT:

This research addresses the phenomenon of psychological defeatism in the poetry of the poet Abd Suhaim Abd Bani Al-Hashas, describing him as a marginalized poetic voice that reflects the reality of the enslaved class in pre-Islamic society. The research approaches the psychological dimensions that reveal an inner sense of weakness, brokenness, and self-abasement—features evident in Suhaim's poetry. This research seeks to read his poetry in light of psychoanalytic approaches and defeatist behavior, to uncover the deep emotional dynamics that drive his poetic discourse.

الانهزام النفسي في شعر المهمش: سحيم عبد بني الحسحاس اختياراً

م. م. نور سامي عبيد
كلية التربية الأساسية، جامعة واسط، واسط، العراق
noor.Sami@uowasit.edu.iq

الكلمات المفتاحية | **الانهزام النفسي، سحيم عبد بني الحسحاس، شعر المهمش.**

https://doi.org/10.51345/.v36i3.1206.g559

ملخص البحث:

يتناول البحث ظاهرة الانهزام النفسي في شعر الشاعر العبد سحيم عبد بني الحسحاس، بوصفه صوتاً شعرياً مهمشاً يعكس واقع الطبقة المستعبدة في المجتمع الجاهلي. ويقارب البحث الأبعاد النفسية التي تكشف عن شعور داخلي بالضعف، والانكسار، وتدني الذات، وهي ملامح تتجلى في شعر سحيم، ويسعى هذا البحث إلى قراءة شعره في ضوء منهج التحليل النفسي والسلوك الانهزامي، للكشف عن الديناميات الشعورية العميقة التي تحرك خطابه الشعري.

المقدمة:

ينطلق البحث من فرضية مفادها أن سحيم، على الرغم من جرأته الظاهرة في التغزل وافتخاره بالجسد ولذته، يحمل في داخله شعوراً عميقاً بالانسحاق النفسي أمام مركز القوة في مجتمعه، حيث تتجلى في شعره أعراض الانهزامي النفسي كالشعور بالذنب، والقلق من الرفض، والحنين للاعتراف الوجودي من الآخر، فتتكرر عبارات التوسل العاطفي، والتشكي، والرغبة في الحب غير المشروط، وكأنها محاولة لانتزاع الاعتراف من مجتمع لم يكن يرى فيه سوى عبداً، فيكشف هذا التوتر بين الرغبة في الاعتراف والخضوع للواقع الاجتماعي عن تناقض نفسي داخلي، يظهر جلياً في تفكك الخطاب الشعري بين الجرأة والانكسار، وهو ما يجعل من دراسة شعره مدخلاً مهما لفهم البنية الشعورية للعبد العربي في شعرنا القديم، وهذا ما يناقشه البحث في متنه التحليلي، انطلا قاً من نتاجه الشعري وسيرته الذاتية التي سطرتها لنا كتب الأدب والأخبار.

الانهزام النفسي بين اللغة والاطلاح:

هناك علاقة بائنة بين الدلالة اللغوية للانهزام وبين المعنى الاصطلاحي، إذ توحي الدلالة اللغوية " بوصفها تجسيداً لحالة الانكسار والتشقق، نقول انهزم العدو: انكسرت شوكته، وشق صفه وانتصر عليه، فهو منهزم ومهزوم، يرتبط مصطلح الانهزام النفسي بهذا المعنى: باحتقار الذات، والاحتقار لغة: الإذلال، والإهانة، والتصاغر"[1]، ولعل المعنى الاصطلاحي للانهزام النفسي كان حاملاً للدلالات اللغوية بشكل أوسع وأشمل،

إذ يعرف الانهزام بأنه فقدان الأمل في أي شيء، يصيب الإنسان باليأس والإحباط، ومن ثم يدفعه الى البحث عن حلول إما بالهرب للماضي والعيش فيه، والتغني بأمجاده، أو الاستكانة بالواقع والرضا به، [2].

وبالعودة الى السيرورة التاريخية لمصطلح " الهزيمة النفسية نجده قد بدأ في القرن الماضي في أدبيات العلوم العسكرية للتأثير على آراء وسلوك مجموعة من البشر، بهدف تغيير نهجهم وأساليب انفعالهم، وفعلهم لتحدث حالة من الانهيار المعنوي والاستسلام النفسي،...، فهي تقبل الفرد للهزيمة دون صراع "[3]، ولا حاجة لي بذكر كل التعريفات الخاصة بالانهزام النفسي؛ لأن كل منظر في مجال علم النفس يضع له التعريف الذي يراه مناسباً ولكنهم جميعاً يتقاربون في تعريفه على أنه" استصغار النفس واستذلالها وانكسارها أمام الآخر والذات، وانهيار مقاومة النفس عن مجابهة الواقع، نتيجة عدة عوامل تكسب المرء إحباطاً مزمناً، وتجعله يحس بأنه محطم النفس خائر العزيمة، وأنه ليس جديراً بمواجهة الحياة"[4].

وبعد هذا التأسيس نجد أن أهل الاختصاص قد وضعوا مقاييس معينة لمعرفة تحقق الانهزام النفسي؛ لأن الانهزام النفسي – على وفق علماء النفس– عميق الجذور ومتشعب الفروع فلا يمكن الخوض في هذا الموضوع من غير العودة لكل المقاييس المتفق عليها؛ لإظهار دورها في توجيه سلوكه وتأثيرها في بناء شخصيته مروراً بمآزمه الشخصية والاجتماعية التي نشأ عنها من ردود فعل تجلت في نتاجه الشعري؛ ليفضي بي للوقوف على الانهزام النفسي هل هو متحقق عند سحيم عبد بني الحسحاس؟ على وفق ما تم وضعه من قبل أهل الاختصاص؛ لأن " العقد النفسية شبكة من العلاقات التي تشمل البنية الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، ولا يمكن عزل المآزم النفسية وصراعاتها عن الجذور الواقعية"[5]، وبما أن واقع الحياة العربية " انعكس على صفحة الشعر، وكان الشعراء مهيأين للقول في كل مناسبة تستدعي القول، بل أن بعض الحقائق قد تشير الى أنهم ما كانوا ليستطيعوا أن يحجموا عن القول في المواطن التي يستحسن فيها كف اللسان"[6].

إ نّ اختيارنا لسحيم جدير بالبحث، لا سيما أن سحيم بوصفه شاعرا عبداً ومهمشاً في السياق الاجتماعي الجاهلي/الإسلامي المبكر، يمثل حالة فريدة تُمكّن من استبطان الأثر النفسي للهامش والعبودية، والتمييز العرقي، استنادا الى تحليل نصوصه الشعرية؛ لأني وَجدت سحيم يجمع في ذاته مظهرين مختلفين، مظهر شاعر الغزل الفاحش الذي يعتصر المرأة حتى يتركها متجردة عن كل ستر، ومظهر شاعر التمرد والثورة ضد قبيلته واسياده، فتظهر نزعة التناقض عنده.

سحيم عبد بني الحسحاس الشاعر والسياق:

إن استقراء حياة الشاعر يكشف عن فهم ثقافي جديد يؤهل الباحث لمتابعة انعكاسات شخصيته لتكوين رؤية تحليلية تساعدنا على استجلاء نفسه، " فالإلمام بخفايا النفس البشرية، من معرفة التيارات المهمة التي

تنازعت نفسية الشاعر من خلال سيرته، ينبغي أن نلتفت إليها عبر واقع الشاعر، مستطلعين الأسباب البعيدة والقريبة التي ألمت به، ذاك أن الشعر هو تعبير عن تنازع النفس بين البواعث والطوارئ الخارجية، وما يستبد بها من ميول ونزعات"[7]، بالعودة الى كتب الأخبار والسير نجد أن شاعرنا هو " أبو عبد الله سحيم عبد بني الحسحاس بن هند بن سفيان بن غضاب بن كعب ابن سعد بن ثعلبة بن دودان بن أسد"[8]، وقيل اسمه حية[9]، وأنه "كان حبشياً قبيحاً، وكان يرتضح لكنة حبشية [10]، وفي ضوء هذا التأسيس يمكننا فهم شيء من حياة سحيم.

وبما أن " مؤسسة المجتمع تحدد معايير الانتماء من عدمه، وتقسم وفقها المجموعات البشرية الى أسوياء ولا أسوياء،...، فكل ثقافة تشتغل وفق هذا المنطق الذي يعتمد مبدأ نفي الآخر والقضاء بقصوره وانحطاطه، وذلك بابتداع سنن ومقاييس وعلامات بها يوسم كل مختلف"[11]، فقد حاز سحيم على صفتين منبوذتين عند العرب، النسب الهجين واللون الأسود، ولعل سحيم أكثر الشعراء ممن اكتنفت سيرة حياتهم محطات متباينة، بدأ حياته مهمشا محتقرا، غريبا منزويا في طفولته ، فلم يعش حياة الطفولة الطبيعية كما عاشها اقرانه من ابناء الأمهات ذوات الاصل العربي، وظل يمارس أعمال العبيد ومهامهم الوضيعة، التي يأنف الحر مزاولتها، فدون تلك المعاناة تدوينا دقيقا، وسجلها في شعره.

كانت العرب تحتقر الإماء، ومارسوا ضدهنَّ أشدّ أنواع الاحتقار والامتهان لكرامتهن، حتى غدونَ بضاعة للبيع والشراء بينهم، وطبقة الإماء " تنتمي إلى الطبقة الثالثة من النساء في المجتمع العربي بعد طبقة الحرائر وطبقة السبايا، فالسبية كانت وقفاً على رجل واحد، أما الأمة فكانت شيئا مشاعاً بين الجميع"[12]؛ ولأن سحيم ابن امة سوداء، لم ينل اعترافاً من مواليه، ولم يكن مرغوباً به فقد كان العرب يبغضون اللون الأسود بقدر ما يحبون اللون الأبيض.

وبما أن المجتمع الجاهلي، مجتمع قبلي، عنصري تمايزي، قائم على النسب، فكان نتيجة تلك القبلية أن نشأ التمايز بين الافراد وقسم المجتمع اقساماً، وانمازت كل طبقة بمميزات خاصة، فمن هنا كان للأفراد الذين لا يجمعهم نسب صريح، ودم عربي أصيل، عقد نفسية عديدة، من هذا المنطلق نستطيع أن نسجل " إن الشطر الكبير في حياة سحيم تمثل بملازمته فيها الإحساس بدونية الانتماء وهو إحساس لازمه مذ طفولته حتى موته، وعلى الرغم من كل الجهود التي بذلها في حياته الطويلة للتخلص من هذا الإحساس، فإنه في داخله ولد عبدا أسود، وعاش ابن أمة، وتقدم به العمر ولم تشأ له كل أفعاله أن تمحو الأثر النفسي المكبوت في عمقه"[13].

فسحيم مسحوق بوطأة القيم العربية في صعوده فوق وانحداره الى أسفل، حتى ضاع بين القطبين مما جعله يدخل في صراعات نفسية تفقده القدرة على التنسيق بين الذات والخارج، "حيث تتفكك الشخصية وتتخبط الانفعالات والأفكار والعلاقات، فلا نعود أمام شاعر موحد النزعات بل أمام أنماط من السلوك ربما تناقضت في أحيان كثيرة، "فكلما انحسرت حرية التعبير عن الذات، كان الصدّ أكبر"[14].

ولا نحتاج الى إثبات هذه التناقضات عند سحيم فقد انطبعت به منذ طفولته، إذ " تعتبر التنشئة الاجتماعية على درجة كبيرة من الأهمية فهي عملية تعليم وتعلم وتربية، تؤدي الى تشكيل السلوك الاجتماعي لدى الفرد وإدخال ثقافة المجتمع في بناء سلوكه وشخصيته، وتحوله من كائن حيوي الى كائن اجتماعي، وتكسبه صفة الإنسانية، وتلعب ا لتنشئة الاجتماعية دوراً فاعلاً في تكوين السلوك الانهزامي، فمن الممكن أن يصبح أي شيء يعوق عملية التنشئة الاجتماعية السوية والتطبع الاجتماعي والاندماج الاجتماعي مصدراً للضغط والاضطراب النفسي، ولاشك في أن التنشئة الاجتماعية غير السوية تخلق إحباطاً لدى الفرد مما يؤدي الى حدوث الانهزام"[15]، وبهذا يظهر عمق انشداد معاناة سحيم التي رضخت لقيود التمايز الطبقي واللوني وهي معاناة جعلته ينتمي الى فئة اجتماعية لا تقف مع صف الأحرار، وتأتى بسببها إذعانه للشعور بدونية الانتماء، وترسخ وصف الآخرين له بالعبودية والوضاعة.

النص الشعري كأداة لاستبطان الذات المهمشة:

إن النتاج الشعري لسحيم منحه تعبيراً مركزياً وضعه في منزلة تفوق المنزلة التي وضعها له المجتمع، لذلك راح يفرغ بعض همومه في نتاجه الشعري محاولة منه على تجاوز أزمته النفسية، فيطلق ومضات التصوير في شعره مع جملة من المعطيات من واقعه، محاولة منه على مزاوجة حالات خوفه التي تكتنف ذاته، " ففي الفن فقط يحدث للإنسان المعذب برغباته، أن يحقق شيئاً شبيها بالإشباع، وبفضل الوهم الفني تنجح هذه اللعبة في توليد التأثيرات الانفعالية نفسها"[16]، وقد نجح كثيراً سحيم في إيصال هذا المفهوم والاتكاء عليه في نتاجه، هذا يتضح بقوله:

فيا ليتني من غير بلوى تُصيبُني ... أكونُ لأجمال ابن أيمَن راعيا
وفي الشرط أنّي لا أباعُ وأنّهُم ... يَقُولُون غَبَّقَ ياعَسيفُ العَذارِيا
فأسند كَسلَى بزّها النَّوم ثوبَها ... الى الصَّدر والمَملوكُ يلقَى المَلاقيا
فَلَمَّا أَبت لا تَستقلُّ ضَممتُها ... تَرَى الحُسن منها والمَلاحةَ بَادِيا[17]

تتضافر مكونات الاستعداد النفسي عند سحيم في أبيات يفتتحها بمشَهد غزلي، يحمل في طياتها بعداً خفياً يكشف عن انهزام نفسي عميق يتمثل بالهوية والعبودية، فعلى الرغم من نبرة التمني والرغبة لديه، فإن

الأبيات تَظهر مفارقة مؤلمة بين الخيال الذي يصنعه الشاعر لنفسه، والواقع الذي يقصيه ويُحقّره، " فتعبيره ينطوي على كثير من التذبذب بين المتناقضات، بين الحلم اليوتوبي وبين رفض الواقع والسخرية منه، إنها إذن أحوال الذات التي تمارس الغناء الملون بألوان زخمها الفكري والشعوري الذي لا ينفصل عن واقعها بما يشمله هذا الواقع من متناقضات ومفارقات"[18].

إن هذا التمني بذاته يكشف عن انخفاض في الطموح الذاتي، وعلى ضوء هذا يمكننا فهم طبيعة القلق المرافق لسحيم، وأضحى لنا أن نعي جوه النفسي بمد خيط من التحسر، ثم يتحول الى وصف جسدي واضح يحمل فيه لحظة الحلم والوصال، التي لا يستطيع الشاعر أن ينسى هويته الطبقية؛ مما يعكس نوعا من الانتصار المتخيل من ذات مهزومة لا تجد موقعا واقعيا للحب أو الانتماء؛ لأن ما يشعر به من نقص ناتج عن ممارسة المجتمع، ونظرته الى امثاله، الأمر الذي دفعه للخلاص مما هو فيه، وإيجاد سبل تفضي به الى مكانة يأمن بها من الظلم والاضطهاد، فيعيش حالة من التمزق بين الجسد والرغبة من جهة، وبين الوعي بالمكانة الاجتماعية المتدنية من جهة أخرى؛ لأن حالة الانهزام النفسي التي يعيشها سحيم ليست حالة عفوية وجدت مصادفة، بل هي حالة نفسية خلقتها ظروف وممارسات اجتماعية وثقافية تفاعلت لإنتاجها وتعميقها في أسلوب حياة الفرد[19].

عكست لنا تجربة سحيم الشعرية عمق انشداد معاناته الإنسانية ورضوخه لقيود التمايز الطبقي، فمن" الملاحظ أن مجال الخيال كان ولا يزال ذخيرة تشكلت عند الانتقال الأليم من مبدأ اللذة الى مبدأ الواقع، من أجل منح بديل للإشباع الغريزي الذي تفرضه الحياة مفارقته، فالفنان ينصرف بعيداً عن هذا الواقع الذي لم يعد كافياً نحو عالم من الخيال،...، فأعماله تأتي إنجازاً متخيلاً لرغباته اللاواعية"[20]، وهذا ما يتضح في قوله:

وإنّي لأسقَى من مياه كَثيرة وإن قَالَ أهلُ المَاء أنّي مُصَرّدُ
فَما بالُ ماء لَستُ ذائقَ طَعمهً عَلَى لَذّة إلا ونفسي تُرَعّدُ[21]

إن اللذّة حاضرة ومتاحة ـ "ماء كثير/ فطلبَ الماء هنا مقترن بطَلب الأنثَى —، لكن سحيم لا يستطيع التلذذ بها، لا لأنّها مفقودة، بل؛ لأنه يشعر داخليا بعدم الأهلية أو الاستحقاق، "فانتقاء المشهد الملائم رهن بطبيعة حالة الشاعر النفسية والفنية أولاً، وبطبيعة التجربة الآنية التي يعالجها"[22]، فكل محاولة لتذوق المتعة تقابلها رعشة داخلية، وارتجاف نفسي، مما يدل على حالة قلق مستمر ورفض داخلي للسعادة، وكأن النفس تشعر أن في المتعة خطراً أو تهديداً، وقد صرح بذلك بكلمة "مصرد" (أي مبعد أو محجوب) تشير إلى وصمة اجتماعية؛ فحتى مع وجود الماء (الراحة/الفرص)، ينظر إليه كمنبوذ، مما يعمق إحساسه الداخلي بالدونية والنبذ، فالانهزام النفسي لا ينشأ من الشاعر فقط، بل من استبطانه لنظرة المجتمع إليه، "فالتمرغ في حمأة

الجسد يظهر عندما يكون الشاعر خاضعاً لنزواته يريد إشباعها من طريق المعاندة والتمرد والجنوح، ولكنه في الوقت نفسه يخشى خطر النزوات بعامل التكوين والتنشئة"[23]؛ لأن صاحبنا مسحوق بوطأة القيم التي تراقبه.

أخذ نص سحيم ينمو نفسياً ويعكس المزيد من عدم التوافق، ولعل ما ساعده على ترسيخ هذه الرؤية هو النقصان الاجتماعي، "فمن أسباب الشعور بعدم تحقيق المكانة هو الشعور باحتقار الذات، أي شعور الفرد بالتباعد بين الذات المثالية والذات الواقعية،...، فالمكانة الاجتماعية تعد عملية دينامية معقدة مستمرة مع الحياة وتمثل حجر الزاوية الأساس في وحدة الشخصية"[24].

أَشارَت بمدراها وقالَت لتربها	أَعبدُ بَني الحَسحاسِ يُزجي القَوافيا
رأَت قَتَباً رثّاً وسحقَ عَباءَة	وأَسودَ مِمّا يَملكُ الناسُ عاريا
يرجّلن أَقواماً ويتركن لمَّتي	وذاكَ هوانٌ ظاهر قَد بدا لَيا
فَلَو كُنتُ وِرداً لَونُهُ لَعشَقنَني	ولَكنَّ رَبّي شانَني بسَواديا
فَما ضَرَّني أَن كانَت أمي وليدةً	تَصُرُّ وتَبري باللِّقاحِ التَوادِيا[25]

يتجلى الانهزام النفسي في هذه الأبيات بوضوح من خلال لغة الشاعَرَ، وهي لغةَ محملة بمشاعر الانكسار، والدونية، والشعور بالنقص الذاتي أمام نظرة المجتمع، " إن التناقض بالمعنى الذي يقدمه الشاعر، ليس تناقضاً في الوعي بالذات، وإنما هو نوع من الانشطار غير المتكافئ الذي تعمل على تنشيطه الرغبة اللا واعية في إرباك الزمن أو إيقافه، وحينئذ يلجأ الشاعر الى اللغة يلتقط من خلالها المتناقضات، ويحاول أن يعبر من خلالها الى وجود أسمى لا يتعلق بالمحدود أو المألوف لكنه سرعان ما ينصدم بواقعية لا مفر منها تفرض على الإنسان تحمل مصيره المنقوص"[26].

ولا نحتاج الى إثبات هذه الخصائص؛ لأنها انطبعت بشاعرنا منذ طفولته، وانعكست في آثاره " فإن هذه الجماعات لم تكن ماثلة حاضرة إلا بوصفها موضوعاً منبوذاً داخل خطاب المؤسسة الرسمية المهين؛ ذلك أنها بعض من صور الآخر النقيض، وإذا كانت كل ثقافة مولعة بترسيخ سماتها، وتحديد خصائصها المميزة، واستبقاء كل من يدعم تلك الخصائص، أو يتصف بها أو يحافظ عليها، فإنها من ناحية أخرى تصنع على نحو واضح صورتها النقيض، آخرها الذي لا مجال له الإقصاء، فإبراز شذوذ الآخر مدعاة لحجزه داخل أسوار علاماته، ولحفظه حفاظاً يخرجه من المؤسسة التي صنعته فطبعته بسمة ما، حتى تؤكد مبدأ نفيه، وليس تأكيد مبدأ نفي الآخر غاية في ذاته، بل هو وسيلة إثبات لعلامات الذات المقصية، ومن هنا تبرز قاعدتان تستند إليهما كل ثقافة في تعاملها مع الآخر هما: قاعدتا الإقصاء والإبقاء، أو الانتماء واللا انتماء"[27].

إن هذه المعطيات جميعاً تؤشر أن سحيم يحاول أن يرسم لنا ثقل شخصيته الاجتماعية ودرجة تقبلها، لتكون نقطة انطلاقه لجرح نرجسي اجتماعي يعاني منه الشاعر، حيث تنكر عليه الهوية الثقافية بسبب أصله ولونه، فاللون إذاً : إحساس وشعور داخل بين وحقيقيين ، يمتلك تأثيرا نفسياً شديداً ومباشرا لا يمكن إغفاله أو تجاهله، ويختلف هذا التأثير بحسب اللون والشخص الذي تتحكم به مجموعة من العوامل الداخليَّة والخارجيَّة، ...، فالألوان مرآة لنفسية الإنسان[28]، لتسلبه القيمة الجمالية، مما يعزز الإحساس الذاتي بالهوان والدونية لديه، كل ذلك يعبر عن شخصية مهزومة داخلياً، ترى نفسها منبوذة اجتماعياً وجمالياً، وتغرق في تأملات سوداوية تفقدها الثقة بالنفس، مما يجعل النص وثيقة شعرية نفسية نادرة تكشف آلية تشكّل الانكسار في نفس المهمش.

سحيم بين الانكسار والتعويض:

تبقى لدى الفرد " حاجتان نفسيتان مكتسبتان، ترتبطان ارتباطاً وثيقاً بدافع الأمن وهما: الحاجة إلى التقدير الاجتماعي، والحاجة إلى الانتماء، فالحاجة إلى التقدير الاجتماعي تدفع الفرد إلى أن يكون موضع قبول واحترام من الآخرين، يحظى بمكانة اجتماعية مرموقة، بعيداً عن استهجان المجتمع ونبذه، وما يعزز شعوره بالأمن أيضاً انتماؤه إلى جماعة قوية يتقمص شخصيتها ويوحد نفسه بها"[29].

ولو تأملنا ديوان سحيم، لوجدنا أن صورة المرأة مع أنها مثلت المحور الأساسي في شعره، إلا أن فيه نصوصاً عالجت موضوعات قبيلة، كشفت لنا عن إحساسه العميق بالرغبة بالاعتراف والانتماء لأن؛" الحاجة للانتماء قد يصعب إرضاؤها في مجتمع قائم على العرف الاجتماعي له قوانينه الخاصة به، مما ينتج عن ذلك شعور الفرد بالاغتراب"،[30].

وهذا ما حرم منه الشعراء السود ومنهم سحيم الذي ظل يحرك لديه هاجس الحرية وتحقيق الانتماء فيقول:

بَني أَسَد سيروا جميعاً فقاتلوا ... مَعَدّاً إذا اربدَّت بشَرّ جُلودُها
أَرى أَسَداً والحمدُ للّه أَصبَحت ... عَلى خَير حال والإلَهُ يزيدُها
ونَحن جَلَبنا الخَيل مِن جَانب الغَضى ... إِلى أَن تَلاقَت بالرِشاء جُنودُها
بمَلمومَة كالليل رَعناء فَخمَة ... ورقراقَة يعشى العُيونَ حَديدُها
إِذا فَزِعوا طاروا إِلى كُلّ نَهدَة ... وأَجرد نَهد ما تَجِفُّ لُبودُها
يُقَضّين ديناً مِن نُمَير بنِ عامِرٍ ... ولَم ينجُ منها جعفر ووحيدُها

ويَومَ بَني كَعب تَركنا سَراتَهُم عَلى آلة لَزن قَليلٍ عَديدُها(31)

لا يتكلم سحيم في هذا النصّ بوصفه فردا معزولًا، بل يستخدم ضمِّير الجَماعة، هذا يظهر محاولة اندماج وتعويض اجتماعي، يريد أن يظهر أنه جزء من الفعل الجماعي لا أقل شأناً من أحرار القبيلة. إذ يتقمص صورة الجمع ليتحرر من عبء الفرد فلا يكون ذاتاً مستقلة، بل يذيبها في الجماعة، كنوع من الذوبان الدفاعي، أي أنه لا يستطيع فرض ذاته الفردية، فيلجأ إلى تماه كلي مع كيان القبيلة، "إن مخاطبة الهوية الضائعة، والسعي الى استردادها ينمي البعد التأملي، للبحث عما يمكن أن يضيء السبيل للضمير في موقفه من المصير، الذي لم يذكره النص وإنما أفرزته اللغة المغيبة في طرس متن النص، في مقابل تجلي المساحة الانفعالية التي تضمنها محيط النص"(32) فإن في خلفية النص علامات سلوك انهزامي نفسي تكون تعويضا نفسيا عن شعور داخلي بالنقص، فمحاولة الحديث باسم القبيلة يمثل سلوكًا انهزاميا هروبيا من الذات المهمشة، ومحاولة تجاوزها عن طريق خطاب البطولة والاندماج القبلي؛ " لأن سوء التوافق الاجتماعي يؤدي الى توليد نزعة انهزام الذات"(33).

بَني عَمّنا مَن تَجعَلونَ مَكانَنا إذا نَحنُ سرنا نَبتَغي مَن نُحالفُ
أَلَم تَعلَموا أَنّا فَوارِسُ نَجدَةٍ إِذَا خام فِي الهَيجا الضعافُ الزعانفُ
وَكُنّا لَهُم كالغَيثِ مالَ نَباتُهُ حَيا سنَةً أَزجى إِلَيه الضَعائفُ
وَصرنا إِلى السعدَينِ سَعد بن مالك وَسعد بَنِي الأَحلافَ تلك العَجارِفُ
وَقُلنا لَهُم والخَيل تَردى بنا معاً نُحارِبُ من حاربتم وَنُحَالفُ(34)

يقدّم سحيم خطابا مغايرا عن السابقَ إذ نرى هنا صوتاً داخليا يسعى إلى تثبيت الذات داخل الجماعة عبر سؤال يظهر قلقًا وجوديا حول الانتماء، وهو سؤال ينطوي على شعور ضمني بالإقصاء أو التهديد بفقدان المكانة داخل القبيلة. هو لا يتحدث بوصفه فردا واثقا من موضعه، بل بوصفه من يخشى أن يستبدل، فيعكس إحساسا داخليا بعدم الأمان الاجتماعي.

يدفعه ذلك الى تذكير الآخرين بأنه وأهله من "فوارس النجدات"، وأنه يقاتل حين يضعف الآخرون، وهذه الحاجة إلى إثبات الذات هي في جوهرها تعويض نفسي عن شعور داخلي بالدونية أو الشك في الاعتراف، ما يجعلها مظهرا من مظاهر السلوك الانهزامي حتى لو اتخذت شكلًا بطوليا؛ لأنه؛ لا يتحدث من موضع الاستقلال، بل من موضع من يبرر بقاءه ضمن الجماعة عبر نفعه لهم، وكأن مكانته مرهونة بما يقدّمه من خدمة، فالشاعر/العبد لا يملك موقع القرار، بل يتبنى مواقف الآخرين ويذوب فيها، وهو ما يعكس سلوكًا انهزاميا قائما على فقدان المبادرة والاستقلال.

وعلى قلة النصوص التي تعالج الشؤون القبلية في ديوان سحيم إلا إننا لا حاجة لنا بإيرادها كلها فالأمر لا يحتاج الى معاينتها جميعاً، لأنها تخلص الى جانب تعويضي ومحاولة لتنظيم الذات، من خلال حالة الاستبطان، التي تمثل حالة تزامن فكرتين متناقضتين عند الفرد في آن واحد، فيفكر بهما في آن ويتعامل معهما في آن، وتضغط كل فكرة فكرة أخرى مما يجعل الفرد المستبطن أسير صراعهما في دواخله ويصير حكمه في الأشياء ازدواجاً سلوكياً لعملين في وقت واحد. وكثيراً ما تكون إحدى الفكرتين متسلمة من الواقع وتكون الفكرة الأخرى ذاتية[35].

لابد من الإشارة إلى أن الشعراء السود ومنهم سحيم حرموا من الانتماء القبلي فعمدوا إلى التعويض من خلال التغني بقدراتهم الذاتية، ومحاولة الانتماء بطريقة تبدو مؤهلة للكشف عن بواعث نفسية كثيرة لدى كل واحد منهم. لأن حالة اللاانتماء التي يشعرون بها دفعتهم إلى الانتماء إلى الذات والتشبث بها أي الافراز الذاتي المحتوم للضغوط النفسية الحادة أو لحالة الحصار التي تضرب اطواقها حولهم، فجاءت نصوصهم محددة بلغة ملأى بدوائر المسكوت عنه، المفعم بهواجس الذات، والمشحونة بمرايا الواقع المرير، ولعلها اللغة المناسبة بحسب ما تراه رؤاهم المتأملة، وكيفية انغماسهم في قضايا مجتمعهم المدان بالسواد، والعامر بالانطواء، إذ النص بوصفه تمثيلاً للواقع يقول شيئاً ويعني في الوقت ذاته شيئاً آخر.[36]

الذات تصوغ نفسها بالقوة لا بالفعل:

عانى سحيم من عقدة اثبات الذات المهمشة، وسعى الى تحقيق ذاته بكل ما اوتي من قوة، فقد حاول أن يقيم علاقة مع الذات عن طريق الأمن النفسي الذي اتاح له إشباع الحاجات النفسية؛ لكن هذا الأمن النفسي ليس له أساس واقعي اجتماعي ملموس، انما حققه الشاعر عن طريق الخيالات التي عاشها، وعلى هذا فان المجتمع كلما ازداد رفضاً (للأنا) تشبثت هذه (الأنا) بذاتها، وازدادت تمركزاً حول نفسها، وينتج أثر ذلك تفاقم التضاد بين الفرد ومجتمعه من خلال نبذه وتغريبه[37].

إن حاجز اللون كان احد اسباب فشل سحيم في بناء علاقة حقيقية مع المرأة، إلا أنه أعطاه نوعاً من التحدي واثبات الذات، ومواجهة المجتمع والحياة من حوله، وهذا التحدي تمثل في مغامراته وغزله الماجن، إذ اتخذه كحيلة دفاعية بسبب أزمته النفسية وما يعانيه من صراع، لجأ فيها الشاعر إلى طرق تخفض قلقه؛ فجاء الغزل يدفع عن (الأنا) غائلة التوتر والقلق ليقي مشاعر العجز والفشل عنده، " فالهدف منه ليس حل الأزمة التي يعاني منها المرء بقدر ما يرمي إلى الخلاص من التوتر والقلق النفسي وتزويد (الأنا) بشيء من الراحة الوقتية حتى لا يختل توازنه"[38]، إن حياة سحيم يمكن أن تكون مثالاً يساعد على ضبط عناصر التخيل فقد استعمل سحيم الخيال كوسيلة لبلوغ غايات تتجاوز محتوى الخطاب الشعري لخلق عالم تمثيلي

يدفع بطموحاته نحو الأمام، " فالتجربة الخيالية تجعل الشاعر منقاداً لاكتشاف شيء جديد لم يكن له وجود سلفاً ضمن ما عاشه بالفعل"(39).

أَتُكتَمُ حُيِّيتُم عَلى النَأيِ تُكتَما ... تَحِيَّةَ مَن أَمسى بِحُبِّكُمُ مُغرَما
وما تكتمَين أَن تكوني د نيئةً ... ولا أَن تكوني يَا اَبنَةَ الخَيرِ مَحرما
ومثلك قَد أَخرجتُ من خدر بيتها ... إِلى مَجلسٍ تَجُرُّ بُرداً مُسَهَّما
وماشية مشى القَطاة اتَّبعتُها ... مَن السَترِ نَخشى أَهلَها أَن تَكَلَّما
فَقالَتَ لَهُ يا وَيحَ غَيرِكَ إِنَّني ... سَمِعتُ كَلاماً بَينَهُم يَقطُرُ الدَما
فَنَقَّضَ ثَوبَيهِ ونَظَرَ حَولَهُ ... ولَم يَخشَ هَذا اللَيلَ أَن يَتَصَرَّما
نُعَفّي بِآثارِ الثِيابِ مَبيتَنا ... ونَلقُطُ رِفضاً مِن جُمانٍ تَحَطَّما
أَلا حَبَّذا مَسراكَ مِن ثَمَّ لَيلَةً ... طَرَقتَ عَلى شَحطِ النَوى أُمَّ أَسلَما(40)

يمثل هذا النص نموذجا غنيا لاستكشافَ التوترات النفسية عندَ سحيم المهمَّش، وخاصة في تداخل الانهزام النفسي مع محاولات الاستقواء التخيلي، فالدينامية العجيبة للنص تظهر أن ما يصوره الشاعر في القصيدة ليس الواقع الذي عاشه، ولكن ما يريد أن يعيشه، وبما أن أن بداءة العملية الشعرية هي منطقة الهزات الأعنف في الذات المبدعة، فما تثيره هذه الذات من قلق وخوف، ما هو إلا سؤال الوجود أمام رهبة المجتمع، لذلك فسحيم واجه عبث الغياب من مجتمعه بدعائم غريزية في نجوى الأنثى، إذ يحاول الشاعر تعويض شعور النقص الاجتماعي والطبقي بهذا التصوير البطولي المتخيل؛ لأنه " أمام الإحباطات الكثيرة يفر الشاعر الى توهم أن ما يحدث ليس حقيقة البتة، وكثيراً ما يسقط تجربته هو، باعتباره جزءاً من هذا الواقع، في دائرة الوهم،...، فينكفئ الشاعر نتيجة لذلك على ذاته متجرعا آلامه الداخلية ناضحاً سوداوية رومانسية"(41).

فيعترف بالخوف والرقابة الاجتماعية، وهو دليل على اللاطمأنينة الداخلية، مما يشي بأن القوة التي يصوغها الشاعر هي قوة موهومة مشروطة، وغير متحققة فعليا، لكن سحيم يعترف

بأنه ينام على أطراف الحياة، ويرمز لمصير ذاته المهمشة والمنكسرة، وهي تحاول أن تبدو مُختفية بالفتات، ففعل الشاعر هنا لا يمثل قوة واقعة فعلاً بقدر ما هي محاولة لتحصين الذات ضد المهانة الاجتماعية، والسواد والاستبعاد الطبقي، لكنه في العمق لا يملك أدوات الفعل الحقيقي، نفهم من هذا النص إن علاقة سحيم بالمرأة لم تكن علاقة توحي بالسعادة والهدوء النفسي، فحضور المرأة لم يكن متحققاً مما شكل معاناته وحرمانه، إذ " لم يكن العالم الذي يحيط بالشاعر عطوفاً عليه، ساعيا الى رضاه وتحقيق وجوده، ولم تكن التشبيب بحرائر النساء وتحقيق المتعة الجنسية معهن، إلا علامة على إثبات وجوده بين سادات قومه،...، وكأن فعل المجاهدة

متصل بفعل التعزية، كما أنه متصل ايضاً بخلاص الذات من انكسارها وهزيمتها المتوحشة"[42]، لذا راح سحيم يلهث وراء المرأة ويتعقبها سعياً لتحقيق ذاته التي أنهكتها القبيلة بوضعه في إطار العبيد السود.

تَجَمَّعن من شَتَّى ثَلاث وأَربعٍ ... وواحدة حتَّى كَملن ثَمانيا
سليمي وسَلمى والربابَ وتربها ... وأروَى وَريا والمنى وقطَامَيا
وأَقبلن من أَقصَى الخيام يَعُدنَني ... نَواهدَ لَم يعرفن خَلقاً سوائيا
يعدنَ مَريضاً هن هيَّجَن داءه ... أَلا إِنَّما بعض العوائد دائيا[43]

تعكس هذه الأبيات الانهزام النفسي المغلف بوهم النصر العاطفي لسحيم، إذَ يظهر الشاعر في حالة من التخييل الوهمي العاطفي، فيسقط فيه خيبته النفسية في صورة مشتهاة يتخيلها مع عدد من النساء، وهو يفتخر ببطولاته العاطفية، وعظيم أفعاله في لقاءاته الغرامية، يجد في ذلك تعويضاً عما لحق به من ألم ومرارة جراء لونه الأسود، فيتسامى بنفسه، ليخلق هذا التسامي شعوراً بالراحة النفسية ينسيه آلامه وانفعالاته وحدة توتره الملازم له، ويقوم بحالة تصعيد ذاتية تجعله في مقام ومنظور أعلى من حالته الاجتماعية الممكنة.

إن هذا التعدّد المبالغ فيه لا يشير إلى تجربة واقعية حقيقية، بل إلى رغبة تعويضية، فالشاعر لا يروي حادثة، بل يخلق "مشهداً وهمياً" يعوض فيه شعوره بالحرمان العاطفي أو الاجتماعي، فوفق علم النفس، كثيرا ما يلجأ الفرد المنهزم نفسيا إلى تشكيل "عالم داخلي خيالي" تكون فيه الذات مرغوبة ومركزية ومحط اهتمام، بعكس الواقع المحبط الذي قد يشعر فيه بالتهميش أو الرفض أو دونية القيمة؛ لأن " حين يفقد الشاعر ما يغري المرأة بالإقبال عليه يبقى الشعر شفيعه اليها، وتلك هي الذريعة التي جمعت هؤلاء الفتيات ليلتهن كلها حوله يستمعن لشعره ويتضاحكن حتى كاد الصباح يدركهن، فأدبرن متخفيات الى اخبيتهن،...، وما دامت تجربة الواقع مخفقة، وما دام الحرمان من المرأة هو التجربة الصادقة الوحيدة في حياة الشاعر، فليس عليه إلا أن يمارس وجوده الإنساني"(44)، مع المرأة ولكن بطريقة تقلب موازين المجتمع، من خلال تعرية الآخر وتشويهه.

وَلَيست منِ اللاَئي يرومُ وصالَها ... دَنِيءٌ وَلا عند الفعال ذَميمُ
ولا عَضَل جثل كأَنَّ بضيعه ... يرابيعُ فَوقَ المنكَبَين جُثومُ
يُرى بادناً وَالجُثَّةُ الكومُ شُسَّفُ ... عَظيمِ القُصيرى وَالثُّمامُ هشيمُ
أَخو الذُّلّ لَم يَدفَع عَدُوّاً وَلَم يَخَف ... لَهُ جدلاً عند الإمام خَصيمُ[45]

تمثل الأبيات تحقيراً للآخر من خلال رسم مشهد سلبي، يشير إلى ما هوَ أبعد من الموقف الظاهري، إذ يمكن قراءته بوصفه محاولة لا واعية يُحمل فيها الشاعر خصمه عيوبا قد يعاني منها هو ذاته، أو يخشى اقترابها من هويته، عن طريق التحقير الجسدي الذي لا يهدف فقط إلى التشويه، بل إلى نزع الرجولة عنه، عبر تصويره،

فالتركيز على الجسد هنا يعكس صراعا داخليا لدى الشاعر مع مفهوم الجاذبية أو المكانة الجنسية، وقد يمثّل هذا الـ تركيز وسيلة لتعويض شعور دفين بالدونية أو الفقد، فيدفعه ذلك إلى خلق صورة "مشوَّهة" للآخر، حتى يشعر بالتفوق على مستوى رمزي، ليحطم صورة الرجل الحر من الطبقة الأعلى، مبيناً أنه لا يستحق المرأة الحرة، ويدافع ضمنياً عن حقه الشاعر/العبد في الحب والوصال، على الـرغم من أن الشاعر لا يعبر صراحة عن انهزامه النفسي، لكن الآلية التي يوظّفها في النص تكشف عن ذلك.

إن التطرف الإبداعي في شعر سحيم لا يمكن تفسيره إلا بالرجوع الى حياة الشاعر مرة أخرى، فالانحرافات السلوكية الظاهرة في شعره هي تعويض لما يعتريه من نقص عاشه في حياته فيأتي شعره المستغرق في الملذات أمراً فرضته الدوافع النفسية والاجتماعية وبالرجوع الى أدوات الشاعر في التعبير عن ذاته المهزومة نفسياً يتضح كما في قوله:

فإن تضحَكي منّي فَيارُبَّ لَيلَة تَرَكتُك فيها كالقَباء المُفَرَّج(46)

إن حيازة الجسد بالنَسبة الى الذاتَ الشاعرة ضربٌ من التملكَ لكل معانيَ الحياة الإيجابية، وبما أن سحيم عانى من عقدتي اللون والانتماء دفعه هذا الى التعويض بالتحدي والتمرد على كل ما يعترضه في تكوينه النفسي؛ لأن " الكفاح من أجل التفوق ينبع من عقدة النقص"(47).

فشاعرنا عانى من وضعـه الاجتماعي، فضلاً عن فشله في استمالة النساء، مما دفعه للعودة الى خياله عسى يجد ما يتفاخر فيه بما ظنّه نصراً عاطفياً، فيلجأ إلى الحطّ من قدر المرأة، مستحضراً موقفاً سابقاً ليثبت "سيطرته" أو "تفوقه"، مما يدل على جرح نرجسي داخلي، وهذا من أبرز مؤشرات الشعور بالعجز والانهزام النفسي، فالبيت يعبّر عن أنا شاعرٍ مهزومة، لم تستطع تحمل السخرية، فواجهتها بعنف رمزي قائم على الإساءة، إنه ردّ فعل انهزامي يحتمي بخيالٍ زائف الانتصار، يخفي داخله شعورا بالخذلان، وانكسار الصورة الذاتية أمام الآخر.

وما دام " الحرمان هو محور تجربة سحيم، فما اوسع الشقة بين ممارسة اللذة الكاذبة في مقاطع غزله، وممارسة الأسى المر في مواجهة الواقع الممزق بين ازدراء المرأة وهوان شأن العبودية"(48).

إن شعور سحيم إزاء ما يحيط به من مؤثرات وضغوط قد هيأه كباحث عن الخلاص حتى لو تطلب الأمر الخروج عن المألوف، ومن هنا كان الغزل الماجن أحد الحلول التي ارتضاها الشاعر في محاولة الهرب والتقدم للأمام، حتى وأن كانت هذه المشاهد غير متحققة واقعياً، فأن رغبته الفنية قادته الى تحقيق رغباته الذاتية في إطار ممارستها شعرياً عن طريق شعرنة الجسد، "فالجسد أنما هو بالحقيقة سجن للنفس التائقة الى الخلاص من عبودية العالم المحسوس"(49)

وهذا ما قاده الى مقتله، فكل الروايات تتفق على أن سبب مقتله كان بسبب ما نسجه من قصص خيالية عن اجتماعه بمجموعة من النسوة أو انفراده بإحداهن، أو تشبيبه بنساء مواليه من الأسديين، فكانت تلك سبباً لحتفه، وهذا ما تثبته الروايات "فإنما حظ أهل العبد الشاعر منه إذا شبع أن يشبب بنسائهم، وإذا جاع أن يهجوهم"(50).

شُدّوا وثاقَ العبد لا يُفلتُكُم إنَّ الحياةَ من المَماتَ قَريب
فَلَقَد تَحَدَّر من جَبيَنٍ فَتاتَكُم عَرَقٌ على ظَهرِ الفراشِ وطيبُ[51]

يهاجم سحيم مواليه فيكوَن عدواً لهم، يهددهم ويذكرهم بما فعله بابنتهمَ، ثم يستسلم لواقعه وكأنه يستبق العقوبة، بل يطلبها، في صورة من الانهزام أمام مصيره الاجتماعي، على الرغم أنه يواجه القوم بتحدٍ؛ لكنه لا يفعل ذلك من مركز قوة، بل من مركز نكاية خاسرة، يظهر كمن يريد الاعتراف بجريمته علناً رغم علمه بالعقوبة، وهذا السلوك يعبر عن نزعة تدمير للذات تكون نتيجة شعور عميق بالاحتقار الذاتي واللا جدوى، فهو يريد تثبيت لحظة عابرة من الانتصار الجسدي، لكنه يفعلها بأسلوب يعج بالأسى والانكسار لا الفخر، " إن الشعراء من أمثال سحيم، هتكوا أسوار النص التقليدية لا سيما في الحدود الموضوعية المتعارف عليها بالنصوص الجاهلية، ومحاولة تضمين النص بالجديد، أساسها ما يشعر به وما يحس به، محاولة منه لشق طريق خاص به للتعبير عن كل ما يشبع الذات، ويسد نهم الروح حتى ولو كان ذلك على حساب القيم المتعارف عليها"[52]

إن بحث الشعراء عن تعويض ذلك الإحساس الإنساني المفعم دفع بعضهم، ومنهم سحيم الى البحث عما يزيل هذا القلق، ويمنحهم الدفء، ويبدو أن سحيم لم يستوعب بعد ما تمنحه الحياة للإنسان من دروس وعبر، فانجرف بعنف في تيار العبث والمجون فيتمادى سحيم في عبثه ولهوه بأن يسوق لنا أبياتاً يرد فيها على أبي الجوزاء الذي نصحه بتجنب التعرض لزوجه مولاه.

يَقولُ أَبو الجَوزاء حَوطُ بنُ هذلقٍ غداةَ ثَنايا الحَبلِ لي لَستَ واعيا
أَبو مَعبد مولاكَ فاشكُر بلاءَهُ وإن كُنتَ موسومَ الملاطَين داميا
وما حُنيت مِنّي الضُلوعُ عَلى الَّتي تَكونُ بلاغاً حين تُذكَر ماهيا
فَقُلتَ لَه والقَولُ يؤثِرُ كُلُّه فيبقى ويفنى منهُ ما لَيسَ باقيا
لَعلَّكَ إن كانَ القَذى لَيسَ مُطرِقاً جُفونَ عُيونٍ فابغِني اليومَ قاذيا
وإلّا فَحَوُّ حين تَندى دماثُهُ عَلَيَّ حَرامٌ حينَ أُصبِحُ غاديا[53]

تنكشف شخصية الشاعر في لحظة احتكاك مع شخصيات المجتمع الذي يحتقره، يذكّره حوط بن هذلق بعبوديته وبفضل مولاه عليه، على الرغم من الجراح الدامية التي يحملها، وهذا التذبذب بين طلب العدل والقطيعة النفسية، تكشف عن شخصية مهزوزة، تبحث عن كرامتها بين الناس، وتنسحب حين تُخذل، إنه صوت عبد يريد أن يكو ن إنساناً، في زمن لا يرى فيه أحدٌ سوى سواد جلده ودم عبوديته.

لقد منح سحيم نفسه أنا متضخمة حولته الى صاحب تمرد وعبث ينساق وراء رغباته، رافضاً كل ما يحد تلك الرغبات، فتكون ردة فعله تجاه أي رفض أعلى من مستوى ذلك الرفض، وهذا ما صير سحيم الى الاستهانة والتمرد.

أَبا مَعبَد بئسَ الفَراضةُ للفَتى ... ثمانونَ لَم تترُك لحلفكُم عَبدا
كَسوني غَداةَ الدارِ سُمراً كَأَنَّها ... شَياطين لَم تترُكَ فُؤاداً ولا عَهدا
فَما السجنُ إلا ظلُّ بيتٍ سكَنتُهُ ... وما السوطُ إلاّ جلدَةُ خالطَت جلدا
أَبا مَعبَد والله ما حلَّ حُبَّها ... ثمانونَ سوطاً بل تَزيدُ بها وجدا
فإن تقتلوني تقتلوا ابن وليدة ... وإن تتركوني تتركوا أَسَداً وردا
غَداً يكثُرُ الباكونَ منّا ومنكُمُ ... وتزدادُ داري من ديارِكُمُ بُعدا(54)

يخاطب سحيم سيده (أبا معبد) بلهجة فيها مرارة، وهذا اعتراف بانتهاءَ الذات — انهيار داخلي – بسبب الإذلال الجسدي الموجه من السادة، فالشاعر يتلاعب بصورته، ويظهر التمزق الهوياتي في ذروته مما يعرض في شعره صورتين: واحدة وضيعة ورثها، وأخرى متفوقة تمناها، فالأبيات يتجلّى فيها صوت شعري مهزوم الطبقة، مشوّش الهوية، عاشق مستعد لأن يُجلد ويُقتل على أمل أن يُعترف به فقط كإنسان منتمي.

وبهذا امتلك سحيم مقومات التمرد الذاتي الذي جعله يرسم لنفسه هالة من التضخّيم وعدم المبالاة بمشاعر احد، فصار فنه " لا يخضع لقوانين عقلية أو منطقية بقدر ما يخضع لرغائب ذاتيه متشعبة من دون أن يهتم كثيراً من أي وعاء أتت، ومن أي إناء يغترف، وما يهمه منها ضرورة أن تصب كلها في بوتقة واحدة، تلك هي حضور الشخصية وإشباع نهمه الذاتي، وأن كلفه ذلك الخروج عن النموذج الأخلاقي"(55)، أو أودى بحياته كما فعل به شعره، كل ذلك حدث من خلال قدرته الشعرية على تحويل مالم يكن في الوجود الى ما يمكن تحقيقه على المستوى الحياتي الملموس من خلال فنه، ويتضح كل ذلك في هذا المخطط.

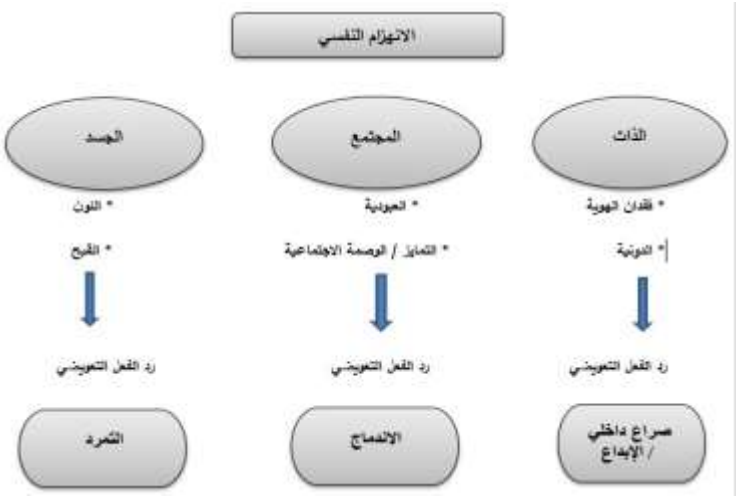

الخاتمة:

لقد تجلّى الانهزام النفسي بوصفه بعداً عميقاً في شعر سحيم إذ وسمت معاناته تجربته الإبداعية بطابع خاص، فقد كان للون بشرته وموقعه الاجتماعي دور في تشكّل اغترابه عن ذاته وعن مجتمعه، مما ولّد في داخله صراعا نفسيا حادا، تمظهر في محاولاته الشعرية لإثبات الذات أو مواجهة المجتمع أو الانتقام منه، لكنها غالبا ما كانت محاولات مشوبة بالعجز والخذلان، فبدلًا من أن يحقق بها توازناً داخليا، وجد نفسه ينزلق إلى دائرة الانهزام النفسي، فجاء شعره مرآة لوجع الذات المهمشة، وصوتا خافتا لصراع إنساني لم ينصفه المجتمع، ولا منحته الكلمة خلاصا، وهكذا يبقى شعر سحيم وثيقة نفسية وإنسانية، تكشف عن مأساة الشاعر الذي حمل على عاتقه أعباء اللون والانتماء، فصاغ منها مادة شعرية تعبر عن هزيمته النفسية بقدر ما تعبر عن وعيه العميق بها.

المصادر:

1. ابن قتيبة الدينوري. الشعر والشعراء، تحقيق أحمد محمد شاكر، ط3، دار المعارف، 2023م، مصر.
2. ابن سلام الجمحي، محمد. طبقات فحول الشعراء، تحقيق محمود محمد شاكر، ط1، شركة القدس للنشر والتوزيع، 1974م، القاهرة.
3. ابن منظور، محمد بن مكرم. لسان العرب، تحقيق نخبة من العاملين بدار المعارف، ط1، دار المعارف، 1994م، القاهرة.
4. إبراهيم، ريكان. نقد الشعر في المنظور النفسي، ط1، وزارة الثقافة والإعلام – دار الشؤون الثقافية العامة، 1989م، بغداد.
5. بدوي، عبده. الشعراء السود وخصائصهم في الشعر العربي، ط1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1973م، القاهرة.
6. الجادر، محمود عبد الله. شعر أوس بن حجر ورواته الجاهليين: دراسة تحليلية، ط1، دار الرسالة للطباعة، 1979م، بغداد.
7. الحفاجي، عبد الجواد. استضافة النص (دراسات في شعر العرب المعاصر)، ط1، (د. م)، 2005م.
8. السنوسي، نسرين. سيميائية الإنسان الناقص في النثر العربي القديم، ط1، الدار التونسية للكاتب، 2017م، تونس.
9. صالح، قاسم حسين. الإنسان ... من هو؟، ط1، وزارة التعليم العالي – مطابع جامعة بغداد، 1987م، بغداد.
10. المودن، حسن (ترجمة وتقديم). التحليل النفسي والأدب، ط1، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، 2018م، الأردن.

11. نجم، خريستو. رهاب المرأة في أدب إلياس أبي شبكة، ط1، مكتبة السائح، 1997م، طرابلس – لبنان.
12. اليوسف، يوسف. مقالات في الشعر الجاهلي، ط4، دار الحقائق، 1985م، بيروت.
13. راجح، أحمد عزت. أصول علم النفس، ط1، مطبعة إشبيليا، د.ت، بغداد.
14. سحيم عبد بني الحسحاس. ديوان سحيم عبد بني الحسحاس، تحقيق عبد العزيز الميمني، ط5، دار الكتب والوثائق القومية، 2020م، مصر.
15. فيدوح، عبد القادر. بلاغة التأويل في الشعر الواصف، ط1، دائرة الثقافة، 2022م، الشارقة.
16. الحمداني، حميد. الواقعي والخيالي في الشعر العربي القديم (العصر الجاهلي)، ط2، منشورات حميد لحمداني، 2016م، المغرب.
17. محمد، فاضل بنيان. تلقي ظاهرة العبث في الشعر الجاهلي: روافد النص وتشكيل المفاهيم، ط1، دار دجلة، 2017م، الأردن.
18. مجمع اللغة العربية. المعجم الوسيط، ط5، مجمع اللغة العربية، 2011م، مصر.
19. حاوي، إيليا. في النقد والأدب (الجزء الأول: مقدمات جمالية عامة)، ط5، دار الكتاب اللبناني، 1986م، بيروت.
20. حمودة، يحيى. نظرية اللون، ط1، دار المعارف، 1979م، مصر.
21. الدوريات والمجلات:
22. أبو حلاوة، محمد السعيد عبد الجواد. الهزيمة النفسية: ماهيتها، مؤشراتها، محدداتها، تداعياتها، والوقاية منها (دراسة في بناء المفهوم)، ط1، مجلة كلية التربية – جامعة دمنهور، المجلد 4، العدد 3/ 2012م، مصر.
23. الجادر، محمود عبد الله. قراءة تحليلية في يائية سحيم عبد بني الحسحاس، ط1، مجلة الطلية الأدبية، العدد 3، 2000م، بغداد.
24. جاسم، أحمد لطيف، وعلي، ليث حمزة. الشخصية المهزومة ذاتياً وعلاقتها بالمكانة النفسية والاجتماعية، ط1، مجلة العلوم التربوية والنفسية، العدد 108/ 2014م.
25. قرني، غادة جميل. البطولة المزعومة في يائية سحيم عبد بني الحسحاس، ط1، مجلة الدراسات العربية –كلية دار العلوم، جامعة المنيا، مجلد 45/ العدد 2022/1م، مصر.
26. محراث، كاظم حمد. الجذور الأولى لفن السيرة الذاتية في الأدب العربي: ثلاثية سيرة عنترة بن شداد؛ الفر وسية، والحب، والهوية اختياراً، (د.ت)، بحث غير منشور، 2023م.

الهوامش:

(1) لسان العرب، لابن منظور، مادة هزم، ج6/ 4666، وينظر: المعجم الوسيط، 187.
(2) الهزيمة النفسية: ماهيتها، مؤشراتها، محدداتها، تداعياتها، والوقاية منها "دراسة في بناء المفهوم"، د. محمد السعيد عبد الجواد أبو حلاوة، 192.
(3) الهزيمة النفسية: ماهيتها، مؤشراتها، محدداتها، تداعياتها، والوقاية منها "دراسة في بناء المفهوم"، د. محمد السعيد عبد الجواد أبو حلاوة، 193.
(4) الهزيمة النفسية: ماهيتها، مؤشراتها، محدداتها، تداعياتها، والوقاية منها "دراسة في بناء المفهوم"، د. محمد السعيد عبد الجواد أبو حلاوة، 195.
(5) رهاب المرأة في أدب الياس أبي شبكة، الدكتور خريستو نجم، 26.
(6) شعر أوس بن حجر ورواته الجاهليين دراسة تحليلية، الدكتور محمود عبد الله الجادر، 403.
(7) في النقد والأدب، بقلم إيليا حاوي، الجزء الأول مقدمات جمالية عامة، 52.
(8) طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الجمحي، تحقيق محمود محمد شاكر، ج172/1.
(9) ديوان سحيم، تحقيق عبد العزيز الميمني، 5.
(10) الشعر والشعراء، لابن قتيبة الدينوري، تحقيق أحمد محمد شاكر، ج408/1.
(11) سيميائية الإنسان الناقص في النثر العربي القديم، نسرين السنوسي، 9.
(12) الشعراء السود الشعراء السود وخصائصهم في الشعر العربي، عبده بدوى، 34.
(13) الجذور الأولى لفن السيرة الذّاتية في الأدب العربي ثلاثية سيرة عنترة بن شداد؛ الفروسية، والحب، والهوية اختيارا، د. كاظم حمد محراث، 4، بحث غير منشور.
(14) رهاب المرأة في أدب الياس أبي شبكة، الدكتور خريستو نجم، 260.
(15) بلاغة التأويل في الشعر الواصف، د. عبد القادر فيدوح، 197.
(16) التحليل النفسي والأدب، ترجمة وتقديم حسن المودن، 43.
(17) ديوان سحيم عبد بني الحسحاس، 56– 57. العسيف: الأجير.
(18) استضافة النص، دراسات في شعر العرب المعاصر، عبد الجواد خفاجي، 171.
(19) الهزيمة النفسية: ماهيتها، مؤشراتها، محدداتها، تداعياتها، والوقاية منها، د. محمد السعيد عبد الجواد أبو حلاوة، 219 – 220.

(20) التحليل النفسي والأدب، ترجمة وتقديم حسن المودن 91.
(21) ديوان سحيم، 56.
(22) شعر أوس بن حجر ورواته الجاهليين دراسة تحليلية، الدكتور محمود عبد الله الجادر، 259.
(23) رهاب المرأة في أدب الياس أبي شبكة، الدكتور خريستو نجم، 247.
(20) الشخصية المهزومة ذاتياً وعلاقتها بالمكانة النفسية والاجتماعية، د. أحمد لطيف جاسم، ليث حمزة علي، 223-224.
(25) ديوان سحيم، 25 – 26.
(26) بلاغة التأويل في المضمر الواصف، د. عبد القادر فيدوح، 532.
(27) سيميائية الإنسان الناقص في النثر العربي القديم، نسرين السنوسي، 7- 8.
(28) ينظر: نظرية اللون، الدكتور يحيى حمودة، 135.
(29) ينظر أصول علم النفس، الدكتور أحمد عزت راجح، 98.
(30) الإنسان ... من هو ؟، قاسم حسين صالح، 130
(31) ديوان سحيم، 49 – 50.
(32) بلاغة التأويل في المضمر الواصف، د. عبد القادر فيدوح، 79.
(33) الشخصية المهزومة ذاتياً وعلاقتها بالمكانة النفسية والاجتماعية، د. أحمد لطيف جاسم، ليث حمزة علي، 235.
(34) ديوان سحيم، 51.
(35) ينظر: نقد الشعر في المنظور النفسي، د. ريكان إبراهيم، 30.
(36) ينظر: بلاغة التأويل في المضمر الواصف، د. عبد القادر فيدوح، 86.
(37) ينظر: مقالات في الشعر الجاهلي، يوسف اليوسف، 31.
(38) ينظر: أصول علم النفس، الدكتور احمد عزت راجح، 551.
(39) الواقعي والشعري في الشعر العربي القديم (العصر الجاهلي)، حميد لحمداني، 27.
(40) ديوان سحيم، 34 – 36.
(41) بلاغة التأويل في المضمر الواصف، د. عبد القادر فيدوح، 287.
(42) البطولة المزعومة في يائية سحيم عبد بني الحسحاس، غادة جميل قرني، 100.
(43) ديوان سحيم، 23.
(44) قراءة تحليلية في يائية سحيم عبد بني الحسحاس، الدكتور محمود عبد الله الجادر، 92.
(45) ديوان سحيم، 36.
(46) ديوان سحيم، 59.
(47) ينظر: الإنسان ... من هو ؟، قاسم حسين صالح، 97.
(48) قراءة تحليلية في يائية سحيم عبد بني الحسحاس، الدكتور محمود عبد الله الجادر، 91.
(49) رهاب المرأة في أدب إلياس أبي شبكة، الدكتور خريستو نجم، 247.
(50) الشعر والشعراء، ج408/1. وينظر طبقات فحول الشعراء، ج187/1.
(51) ديوان سحيم، 60.
(52) تلقي ظاهرة العبث في الشعر الجاهلي روافد النص وتشكيل المفاهيم، د. فاضل بنيان محمد، 79 – 80.
(53) ديوان سحيم، 65 - 66.
(54) ديوان سحيم، 66 – 67.
(55) تلقي ظاهرة العبث في الشعر الجاهلي روافد النص وتشكيل المفاهيم، د. فاضل بنيان محمد، 104.